المبحث الأول

المرأة وتنمية المجتمع

أولا : دور المرأة فى المجتمع:

إن المرأة نصف المجتمع ، وحنو الرجل ، وشطره فى الحياة وهى الأم والأخت ورفيقة الدرب نحو تحقيق الغايات المثلى والأهداف العظمى ، ولا فضل للرجل عليها إلا بمعيار التقوى قال تعالى:"**إن أكرمكم عند الله اتقاكم**"[1].ولقد أدخلها الرسول صلى الله عليه وسلم ضمن قوله :" **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته المرأة راعية ومسئولة عن رعيتها**".

وكانت المرأة فى المجتمعات القديمة من سقط المتاع، وكانت النظرة إليها متدنية ومعاملتها يندى لها الجبين وذاقت المرآة طعم الازدراء والهوان والاستخفاف بكيانها الآدمي، فصارت المرأة فى عرف الرجل مصدرا لمتعة الجسد وقضاء حاجاته وخدمته وإنجاب الأطفال له، وغض الطرف عن كونها رمزا لكل عطاء ومنبعا لكل حنان ، كان من الطبيعي فى ضوء هذه النظرة القاصرة ألا تشارك المرأة الرجل فى شئ مما يسهم فى تغيير أنظمة حياته أو آليات معيشته. فخرجت من التعليم وهو حق لها ومطلب ملح لمطاردة شبح الجهل الذى يفتت شخصية الأمة ويمحو سبل

1- سورة الحجرات : 13

obeikandl.com

نهضتها ، ولم تشارك فى الحياة السياسية أو تعبر عن رأيها فى اختيار التخصصات التي تتبوأ مكان الصدارة فى المجتمع ولقد أعاد ديننا الحنيف للمرأة حقوقها ، فقد كانت محرومة من الميراث فى الجاهلية، ولما جاء الإسلام أكرمها وجعل لها حقوقاً ً وواجبات فى ظل الأمن والأمان.

ومع بزوغ عصر النهضة الحديثة وتغير الأنظمة الاجتماعية وظهور حركات الإصلاح تغيرت النظرة إلى المرأة وتبدلت الرؤية فتحقق للمرأة مكاسب اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية كبيرة حصلت على حقها فى التعليم وأثبتت قدراتها الإبداعية الخلاقة فى مجالات الآداب والفنون ، وحصلت على حق العلم وأكدت حقها فى الحصول على الأجر الذى يساوى أجر الرجل فى معظم البلدان العربية وتقلدت فى بعض الدول العربية منصب الوزارة منذ ما يقرب من أربعين عاما كما تقلدت المناصب القضائية ، كما حصلت على حقوقها السياسية كاملة فى كثير من الأقطار العربية وبرزت المرأة العربية كنائبة ذات ثقل فى العديد من مجالسنا النيابية وصاحبة دور فعال من خلال المنظمات الأهلية سواء فى العمل الوطني أو الساحة الدولية والتاريخ شاهد على دور المرأة العربية فى الكفاح الوطني من أجل الاستقرار جنبا إلى جنب مع الرجل .

obeikandi.com

إن ما نجحت المرأة العربية فى تحقيقه فى بلادنا يدفعها إلى التصدي لمشكلات الحاضر التي تعددت بسبب تعقد الحياة المعاصرة، ولم تعد تقبل الجمود أو العزلة بل تحتم المواجهة الجسورة للتحديات القائمة التي يمكن أن تحد من حركتها ومن قدرتها على الإنجاز والمشاركة فى التنمية العربية المشتركة وأخطر هذه التحديات ينبع من داخل المرأة ذاتها من داخل المجتمع ذاته من أفكار ومخاوف لا أساس لها من الصحة ومن موروثات اجتماعية وأعراف بعيدة كل البعد عن التعاليم الصحيحة والواقع العلمى.

إن الموقف المؤيد لقضايا المرأة لا ينطلق فقط من البديهية المعروفة بأن المرأة نصف المجتمع أو أنها تعرضت لظلم استمر عقودا طويلة، وإنما ينطلق من أرضية صلبة تقف على حقائق التاريخ والثقافة، فقضية المرأة لا تمثل مشكلة فئة أو مجرد صيغ وإذا لم تأخذ المرأة موقعها فى المجتمع وتمارس مسؤليتها وتقوم بأداء دورها الرائد فإنه سيكون من المتعذر على المجتمع أن يحقق نهضته أو يؤدى رسالته الحضارية النبيلة بالكامل .

وإنه لمن الواجب على المرأة الاعتماد على الذات كلما أمكن . ولابد من تأمين مبدأ تكافؤ الفرص بين الرجال والنساء بصفة عامة بما فى ذلك التعليم والتدريب والتأهيل ومحو الأمية

obeikandi.com

والتعليم الذاتي والعمل، وتمكين المرأة من إلى الخدمات الصحية بكفاءة وكفاية مع اهتمام خاص بالخدمات ومراقبة تنفيذها. ودعم قدرة المرأة على الجمع بين حقها فى العمل وواجباتها الأسرية بتقديم الخدمات المساعدة وتعديل التشريعات التي تحول دون ذلك. وبث القيم الاجتماعية الإيجابية المتعلقة بالمرأة ونشر تلك القيم عبر وسائل الإعلام ووسائل التربية.

إن هناك الكثير من الأمهات المثاليات اللائى شرفن مصر ورفعن رأسها عاليا كعائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" وملك حفنى ناصف، وهدى شعراوي، وصفية زغلول وغيرهن ممن نجحن فى أعمالهن.

انظر إلى ملك حفنى ناصف تلك التى كانت تقوم بأعمال بيتها بنفسها، وفى أوقات فراغها كانت تعكف على قراءة الكتب المفيدة، وزيارة مدارس البنات وفحص مناهج التعليم وإبداء الرأى فيها.

حقا الأم مدرسة تربي الأجيال وتصنع الرجال،

قال الشاعر حافظ إبراهيم :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

obeikandl.com

ثانيا: دور الأسرة فى المجتمع:

إن علاقة الزواج جعلت لتوسيع نطاق الأسرة ، ومدها إلى ما وراء رابطة القرابة ، ومن ثم فلا ضرورة لها من الأقارب الأقربين الذين تضمهم آصرة القرابة القريبة. ومن ثم حُرِّم الزواج من هؤلاء لانتفاء الحكمة فيه ، ولم يبح من القريبات إلا من بعدت صلته حتى ليكاد أن يفلت من رباط القرابة.

ولما كانت العلاقات الأسرية بهذا الاتساع والشمول ، صارت بالضرورة لا تقتصر على الأفراد الذين يعيشون فى مسكن واحد ، وتجمعهم حياة منزلية مشتركة ، بل تجاوزت ذلك، وصارت الوشائج بين أسر مختلفة وأصبح التقدير بين مجموعات متنوعة ، وتأكد الاتصال بين بيوت عديدة ، وهو ما يثبت أن الأسرة فى نظر القرآن لم تكن مجرد حشود من الأفراد يعرفون أصولهم ، وفروعهم ، ولكنها عدد كبير من الأفراد ذكورا وإناثا بينهم صلات وارتباطات ، وحرمات ، وبينهم تحابب ، وتوادد ، وتبادل وجدانى ، وتشارك مادى.

وإذا كانت الأسرة تعد الوسط الاجتماعى الأول الذى يؤمن وسائل المعيشة لأفراده ، ويمرنهم على الحياة ، ويشكلهم ليكونوا أعضاء عاملين فى المجتمع ، صار من الثابت : أن المجتمع – الذى من أشكاله الأسرة – لا يضم أفرادا فحسب ولكنه يضم

أفرادا ، وما يتولد بالضرورة عن وجودهم الاجتماعى من صلات وعلاقات.

واتخاذ الأسرة منطلقا لدراسة ما تتطلبه بنية المجتمع ليس بدعا ، لأنها بوصفها أبسط أشكال التنظيمات الاجتماعية ، قادرة أكثر من سواها على أن تساعد على فهم ومعرفة بنية المجتمع ، لأن المجتمع على الرغم من كونه ليس أسرة كبيرة ، ولا هو مجموعة من الأسر ، وتتشعب علاقاتها الداخلية وإلى الخارجية ، وتشابك نظمها ، وتداخل وظائفها – كما هو ثابت تاريخيا وعلميا – يبقى التشابه بينهما قائما والتفاعل مستمرا ولو فى بعض الوجوه.

لقد لاحظ علماء التربية – اليوم – أن مدة الطفولة داخل الأسرة قد طالت عما كانت عليه ، بسبب تقدم الحضارة ، وازدهار المعارف. وقد أكد بعضهم الفكرة فقال: " ... لئلا أذهب بعيدا للاستشهاد على صحة ما أقول : أرجو أن يقارن السامع الكريم بين مدة طفولة طفل عاش فى وطننا هذا قبل خمسين عاما، وطفولة اليوم. لقد كان الطفل يدفع إلى الحياة فى مجتمعنا فى سن قد لا تتجاوز السابعة أو الثامنة ، وذلك ليصبح أجيرا حلاقا أو جزارا أو حدادا أو ليعين أباه فى حقله أو متجره ، وهو – اليوم– يستمر فى التعليم إلى سن قد تصل إلى الثامنة والعشرين ليتخرج طبيبا ، أو حامل دكتوراه ... وهو خلال هذه المدة كلها عالة على أهله الذين

ينفقون عليه ، وعلى مجتمعه الذى ينقل المعلومات والخبرات والمهارات إليه"

وهذا ما يبين أن دور الأسرة لا يزال خطيرا ، وأن تأثيرها فعال فى تنمية العلاقات الاجتماعية ، وإذا كان علماء التربية – اليوم– يرون أن مدى تقدم الأمم يقاس –الآن– بطول طفولة أبنائها ، وخصب هذه الطفولة وسعادتها ، بات من المؤكد أن الأسرة ليست مجرد اتحاد عاطفى ، بل هى حقل تربى فيه العاطفة والعقل ، ويحصل فيه التدريب على الاتحاد والتعاون.

كما أن تفاعلها مع المجتمع ، وتفاعل المجتمع معها فى نمو مطرد – وهذا ما يفسر لنا حرص القرآن الكريم على بيان أهمية الأسرة ، وأهمية وظيفتها ، فهى فى نظر القرآن لم تكن مجرد فنادق للنوم والمأكل ، ولكنها بيوت للتربية والتعليم، وتبادل العواطف ، وتلاقح الأفكار ، وتعاون فى السراء والضراء بين أفرادها.

وعلى كل ، فإن الحياة الأسرية أو الزوجية فى الإنسان تختلف عن الحياة الزوجية فى الحيوان ، والنبات من حيث كونها لم تقف وظيفتها عند حدود النمو العددى ، بل تتجاوز إلى نمو العلاقات وتنشئة الصلات. وهذا ما يجعلنا ندرك أن الجماعة أو المجتمع ليس ركاما من البشر، ولا حشدا متراصا من الأعداد، بل هو أعداد مترابطة ، وأفراد متواصلة. قال البهىُّ :

" ونمو الإنسان فى مجتمعه إذن ... ليس نموا عدديا فقط ... وإنما هو مع ذلك نمو فى العلاقات بين أعداده ... وإذا لم يحقق الإنسان بين أعداده الكبيرة ، والمتزايدة معنى المجتمع، أو أهدافه من الاطمئنان، والسلام ، والمودة ، والرحمة فى علاقات الأفراد، فإن الإنسان يبقى فى نطاق هدف النبات والحيوان.

obeikandl.com